

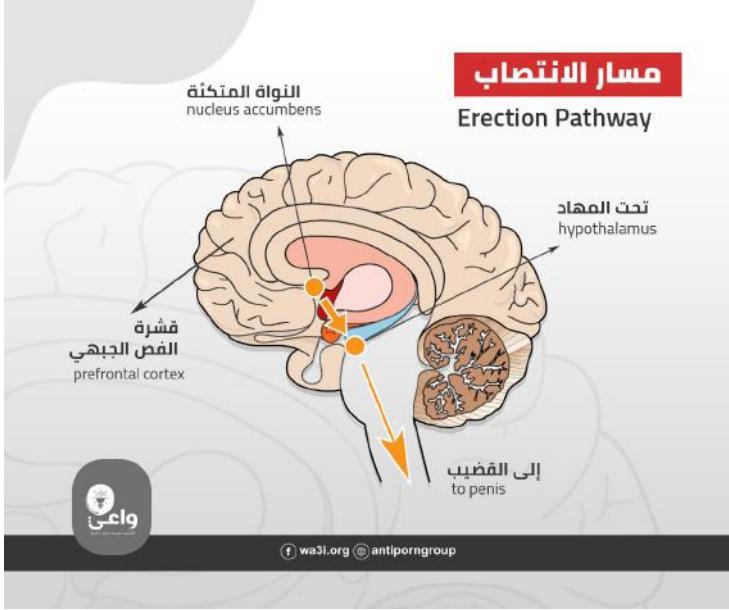


الإباحية الجنسية ومشكلات الأداء الجنسي ... مجددًا



تشير الأبحاث إلى أن قدرة الذكور على تحقيق الانتصاب تحتاج إلى وجود كميات كافية من الدوبامين في الدائرة العصبية للمكافأة^[١٠٩] وفي مراكز الجنس في الدماغ^[١١٠]. قبل فترة من الزمن ليست ببعيدة، قام باحثون إيطاليون بعمل صور المسح الطبقي لأدمغة شبان يعانون من العجز الجنسي النفسي^(١). أظهرت صور المسح الطبقي ضمورًا في المادة الرمادية في مركز المكافأة وبالذات في النواة المتكئة، وفي مركز الجنس في المهاد^[١١١]. ضمور المادة الرمادية يعني قلة في عدد التفرعات العصبونية، ونقص في الروابط العصبية مع العصبونات الأخرى، ويترجم ذلك عمليًا إلى انخفاض في الإشارات العصبية التي يرسلها الدوبامين وبالتالي ضعف التهيج الجنسي، تشبه حالة هؤلاء الشبان حالة محرك السيارة الذي يعمل بجزء من كفاءته فقط ولا يستعمل كل إمكاناته.

(١) حالات (العجز الجنسي النفسي) هي حالات العجز الجنسي الذي لا تصاحبه مشكلات عضوية في الأعضاء التناسلية، مقارنة بالعجز الجنسي العضوي الذي تسببه مشكلات في الأعضاء التناسلية تستدعي التدخل الطبي.



✳ بينت هذه الدراسة أن الحالة النفسية للشخص ليست بالضرورة هي المسؤولة عن حالة العجز الجنسي حتى ولو لم يوجد سبب عضوي واضح يبرّره، وأن العجز الجنسي يمكن أن يكون نتيجة للنقص المزمن في إفراز الدوبامين، وبسبب التغيرات التي تحدث في الدائرة العصبية للمكافأة نتيجة لهذا النقص.

وهذا يمكن أن يفسر أيضًا أعراض العجز الجنسي الذي يعاني منه بعض مرتادي المواقع الإباحية على الإنترنت مثل: ضعف الانتصاب، وتأخر



القذف، وعدم القدرة على الوصول إلى الذروة أثناء الجماع. ويمكن أن يفسر أيضًا لماذا يحتاج التعافي من هذه الأعراض إلى فترة طويلة نوعًا ما، وقد تمتد لعدة أسابيع وربما لعدة أشهر.

النتائج التي توصل إليها الباحثون في إيطاليا متسقة مع النتائج التي توصل إليها الباحثون في معهد ماكس بلانك في ألمانيا والتي نشرت في مجلة جاما للطب النفسي^[١١٢]. كلا الدراستين أظهرتا ضمورًا في المادة الرمادية في الدوائر العصبية للمكافأة، وقد وجد الباحثون الألمان أن المشاركين الذين يشاهدون الأفلام الجنسية بوتيرة أعلى يعانون من ضمور أشد في المادة الرمادية، ويستجيبون بشكل أضعف عند مشاهدة الصور الجنسية. وهذه الملاحظات تجيب عن التساؤل الأزلي: هل للحجم تأثير؟ وعندما يكون الحديث عن المادة الرمادية في الدماغ، فالإجابة هي: نعم، وبالتأكيد.

وكما ذكرنا سابقًا، فإن الشباب الذين بدأوا بارتداد المواقع الإباحية في عصر الإنترنت السريعة عادة ما يحتاجون إلى شهور أطول كي يتعافوا ويستعيدوا صحتهم الجنسية مقارنة بالرجال في سن الأربعين فأكثر، ورغم أن تبلد الإحساس الذي ينتج عن ضمور المادة الرمادية في مركز المكافأة في الدماغ يلعب دورًا كبيرًا في ظهور أعراض الضعف الجنسي، إلا أن كون الرجال الأصغر سنًا يحتاجون إلى وقت أطول للتعافي يشير إلى الدور الذي يلعبه التكيف الجنسي العميق الذي تعرضوا له في سن المراهقة.



هل أعراض التكيف الجنسي يمكن الكشف عنها بصور المسح الدماغي؟

تبدل الإحساس والتغيرات الدماغية الأخرى الناتجة عن مشاهدة المراتب الجنسية بكثرة ولفترة طويلة يمكن رصدها عن طريق المسح الطبقي، أما التكيف الجنسي فلا يظهر له أثر في الصور الطبقيّة للدماغ، ويمكن التحقق من وجود هذا النوع من التكيف فقط إذا قام الشخص بالإدلاء بتقرير ذاتي عن الأعراض المرضية التي كان يعاني منها حال إدمانه، ومن ثم رصد درجة التحسن الذي طرأ عليه بعد التعافي من الإدمان.

لماذا نلاحظ أن الشباب في السنوات الأخيرة الماضية قل لديهم الاهتمام بالسعي للزواج؟

كما هو معروف فإن سن المراهقة يمثل مرحلة النمو الجوهريّة التي يتم فيها تشكيل الدماغ، وإعداده ليربط استجابته الجنسية بالسلوكيات والإحياء الموجودة في البيئة المحيطة (وهذه هي طبيعة كل الثدييات). ويقوم الدماغ بعد ذلك بعملية تشذيب للروابط العصبية التي تكونت في فترة الطفولة والمراهقة، فيقوّي الروابط التي تستعمل بكثرة، ويتخلص من كل الروابط المهملة التي لا تستعمل. وفي خضم عملية التشذيب هذه قد يقوم دماغ مرتادي المواقع الإباحية بالتخلص من الروابط العصبية المخصصة لحثه على



السعي إلى إقامة علاقة عاطفية أو جنسية مع زوج حقيقي لقلة اهتمامهم بها، في حين أن الفتية في الماضي قبل عصر الإنترنت السريعة كانوا يعملون على تطوير وتقوية هذه الروابط العصبية في هذا السن بشكل تلقائي [١١٣].

إليكُم تصريحاً نموذجياً لشاب يافع تكيف سلوكه الجنسي بشكل وثيق مع مشاهدة المثيرات الجنسية على الإنترنت: «لعلك تتساءل كما تساءلت أنا أيضاً: بحق الله هل سأتعافى من العجز الجنسي أم أن أعذب نفسي دون نتيجة؟ والإجابة هي (نوعاً ما) ثم (نعم)!».

الذي ستعاني منه عند الزواج هو أن دماغك سوف يقول لك: ما هذا؟ وذلك لأن دماغك غير معتاد على الجماع كوسيلة أولى وأساسية للاستجابة الجنسية. ولكن عندما تداوم على ممارسة الجنس سوف تبدأ عملية إعادة ترتيب الروابط العصبية في دماغك، وسوف تلاحظ زيادة في حساسيتك واستجابتك للعلاقة الجنسية الطبيعية، وسيغدو الحال بعد الإقلاع عن مشاهدة الأفلام الإباحية أفضل بكثير من السابق، وبدرجة لا يمكن وصفها بالكلمات.

ولهذا أقول لك: سيكون هناك عملية إعادة ترتيب للروابط العصبية في الدماغ، وأثناء هذه العملية قد تعاني من انتكاسات وكبوات، ولكن في النهاية سوف تتعافى مائة بالمائة، اليوم ما عدت أعاني من العجز الجنسي أبداً، بل لم أعد أفكر في الموضوع بتاتاً».